

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

الدكتورة نجمه بانو ☆

الدكتور الحافظ عبدالغني الشيخ ☆☆

سعيده بانو ☆☆☆

إن العلامة محمد اقبال، شاعر الشرق والإسلام. قد كان شاعرا نابغة و مفكرا اسلاميا و فيلسوفا بارعا وهو الذي جاء بفكرة انشاء باكستان كما أنه نادى بالوحدة الإسلامية و الحرية الشاملة للبشرية كافة، فهو قايد و مفكر في نفس الوقت ولكن، فوق ذلك كله، هو شاعر قد تناول شتى فنون الشعر فأبدع فيها و من ذلك مدحه لرسول الله ﷺ وهذا الجانب من شعره هو موضوع حديثنا الآن و سوف تناوله على وجه الإجمال والاقتضاب لأنه لم يأت بديوان مستقل في المدح النبوي كما أنه لم ينتج المطولات من القصائد الشعرية على دأب شعراء العرب والعجم أو على منوال شعرائنا بالاردية وغيرها من اللغات الإسلامية إلا أن اقبال قد ابدع قطعاً شعرية رائعة وأبيات مفردة نادرة لن تجد لها مثالا أو نموذجا عند غيره من الشعراء و إنما هي أبيات و قطعاً شعرية نجدها متفرقة مبشرة في طيات دواوين اقبال الشعرية المتنوعة كما أننا نجد اللألى و الجواهر متناثرة في أعماق البحار، و برغم ذلك فاشعاره تمثل قمة فن المديح النبوي.

وقد مدح اقبال النبي ﷺ لأنه كان قد رزق بحبه الصادق العميق وقد كان هو صادقاً في مدحه له ﷺ لأنه كان قد يؤمن اقبال ايماناً صادقاً قويا ولأنه كان قد عرف بأن مستقبل المسلمين و الناس جميعاً إنما هو يقصر على الإيمان و الاتباع بما جاء به المصطفى ﷺ من الدين الإسلام الذي يضمن الحياة الكريمة الفاضلة للناس جميعاً.

ليس ايمانه الإيمان الحاف الخشب، الذي هو فقط عقيدة أو تصديق بسيط، بل هو مزيج اعتقاد وحب، يملك عليه القلب و المشاعر و التفكير، و الإرادة و التصرف و الحب و البغض. وقد كان شديد الإيمان بالإسلام و قوى العاطفة، شديد الإخلاص و الإجلال لرسول الله، متفانياً في حبه مقتنعا بأن الإسلام هو الدين الخالد الذي لاتسد الإنسانية إلا به، و إن النبي ﷺ هو خاتم الرسل و البصير بالسبل، و امام الكل. (١)

☆ الأستاذة المشاركة، جامعة الكلية الحكومية للنساء، مدينة تاؤن فيصل آباد.

☆☆ مديرة إدارة اللغات جامعة جامشورو السنده.

☆☆☆ محاضرة جامعة الكلية الحكومية للنساء فيصل آباد.

كل شاعر له أسلوب شعري كالعاشق فقط لكن منهم يخيل نفسه محبا للرسول ورسول الله ﷺ محبوب له ويثني على جماله وحسنه وملامح وجهه في الغالب ويتزك أوصافه الروحية وفضائله الأخلاقية، ولكن اقبال قد بدل الشعر المدحى بالشعر القومي، معبرا عن المصائب والآلام التي كان المسلمون يواجهونها في عصرهم فقد عرضها العلامة اقبال على رسول الله ﷺ واحدا بعد واحد وطلب منه حلها بدعائه لأمته.

كان اقبال فيلسوفا، نابغا، مفكرا عظيما، شاعرا مبدعا، زعيما سياسيا ومحبا للنبي ﷺ. وليس له ديوان معين في مدح سيدنا رسول الله ﷺ ولا نجد له قصائد طويلة في المدح النبوي الشريف بل توجد الأبيات المدحية في شعره متفرقة.

حذق اقبال علم الغرب ثم أبلغ المسلمين الرسالة التي بصرتهم بحقيقة الاسلام وعظمتها وملأت قلوب الشباب الغافل النائم بحب المصطفى ﷺ والقرآن. وكان اقبال طروبا في حب النبي ﷺ وهذا هو سبب انسجام شعره مع حياته ونجد كثيرا من المواقف في حياته التي تدل على علاقته الصادقة بالحبيب المصطفى ﷺ. يقول في ارمغان حجاز:

بجشم من نكه آورده تست
فروغ لا اله آورده تست
دو حارم كن يصبح من رانى
شبنم راتاب مه آورده تست (٢)

”أنت الذى جلبت النظر إلى عينى أنت الذى جئت بنور ”لا إله“ واجهنى بصبح ”من رانى“ (٣) فأنت الذى جئت بنور القمر لليلى.“

وكان العلامة يؤمن بأنه يمكن نجاح الدنيا والآخرة في حب الحبيب ﷺ ومن هذا دعا شاعرنا الأمة الإسلامية إلى حب الرسول وبين عظمة حب سيدنا رسول الله ﷺ فيمن أبياته الفارسية والأردية.

بھکے ہوئے آہو کو پھر سوئے حرم لے چل
”اهد الغزال الضمالم إلى المدينة المنورة“

وفى الأشعار الآتية يدعو اقبال الأمة الإسلامية إلى حب النبي ﷺ واتباع سنته - عليه الصلاة والسلام:

بمنزل كوش مانند مه نو
دریس نیلسی فضا هر دم فزون شو

مقام خویش اگر خواهی درین دهر

بحق دل بند و راه مصطفی رو (۴)

”اقطع منازل سفرك كقمر جديد و أكبر في هذا الفضاء الأزرق لو أردت مقامك في هذا العالم

فأوثق قلبك بالحق و اسلك سبيل الحبيب المصطفى ﷺ.“

و يقول في ”پیام مشرق“:

هر که عشق مصطفی سامان اوست

بحر و بر در گوشه دامان اوست (۵)

”كل من يكون متاعه حب الحبيب المصطفى ﷺ يكون البر والبحر في طرف ذيله.“

هنا يحضر اقبال ضريح الحبيب ﷺ و يطلب منه كرمه و فضله بعد ذكر حرمانه:

بهر دهلیز تو از هندوستان آورده هم

سجده شوقی که خون گردیده در سیمائی من (۶)

”إليك جئت في وجود و مجد سيماء فوق تفور.“

و فی اسرار خود يقول:

در دل مسلم مقام مصطفی است

آبروئی ما ز نام مصطفی است (۷)

”مهجة المسلم مثوى المصطفى عزة المسلم ذكرئ المصطفى.“

و فی بعض أشعاره يشكو اقبال الى روح رسول الله ﷺ حزن الأمة الإسلامية و ضياعها۔ ولم تبق حلاوة التمس و

انطفاء شعلة الحياة و الإيمان في نفوس العرب۔ و يقول:

لقد انتشر نظم امتك يا محمد! رسول الله ﷺ و بمن يستدع و يلجاء المسلم الكئيب و الحزين و الى من

يأوى و يستنجد منه عونا؟ لقد سكن بحر العرب الهائج المضطرب، و غابت من الأمة العربية ذلك الحب و الشوق

و اللوع الذي عرفت به فالي من اشكو حزني و المي؟ و ما ذا يفعل حادي امتك، و قد ضلّ سبيله، و انقطع من القوافل

و غابت المطايا و قد انتهى زاده و متاع السفر بالله! كل لي ما ذا يفعل رائد امتك و حامل دعوتك و الى أي مكان

يخلو سبيله، و الى من يغادر و اين يحد ركبته؟

يخاطب اقبال الأمة الإسلامية داعياً إلى حبّ الحبيب ﷺ ويقول:

حرز جان کن گفتمہ خیر البشر

ہست شیطان از جماعت دور نز (۸)

”واحفظن ما قاله خیر البشر کل شیطان من الجمع نفر۔“

وفي المنظومة ”ایک حاجی مدینے کے راستے میں“ بقص قصّة الشاب الذي خرج من بيته قاصداً زيارة المدينة المنورة۔ وفي الطريق نبهت قافلته وقتل ذلك الشاب۔ ثم يعرض الشاعر أمامنا مشاعر الحاج الآخر ويشجعه باستمرار سفره ويقول لنفسه ألا تخف لأن :

خوف جاں رکھتا نہیں کچھ دشت پیائے حجاز

ہجرت مدون یثرب میں یہی مخفی ہے راز (۹)

”لا يخاف الذاهب إلى القفار على حياته وتستحلى هذا السر من هجرة رسول الله ﷺ.“

وفي ”شفاخانہ حجاز“ يلقن اقبال درس محبة النبي ﷺ بأسلوب بديع عند ما يطلب أحد الواعظين من

اقبال معونات مالية لتأسيس المستشفى في الحجاز، يحيب اقبال قائلاً :

اوروں کو دیں حضور! یہ پیغام زندگی

میں موت ڈھونڈتا ہوں زمین حجاز میں (۱۰)

”يا سيدى! بشر بالحياة غيرى، أما أنا فأتمنى أن أموت فى أرض الحجاز المقدسة۔“

وكان اقبال يتخيل أنه مسافر الى مكة والمدينة = شرفهما الله = يسير به الركب على رمال و عساء، يتخيل، بشدة شوقه و حبه، أنها انعم من الحرير و ان كل ذرة من ذراتها قلب يخفق، فيطلب من السائق أن يمشى رويداً ويرفق بهذه القلوب الخفاقة۔ ثم يسعد بالمثل بين الرسول فيصلى ويسلم عليه بما يفتح الله به عليه۔ و ينتهر الفرصة، فيحدثه عن نفسه، و بلاده، و الفترة التي يعيش فيها، و عن امته، و عن الازمات، المشكلات التي تعانيها، و ما فعل بها الزمان و طوارق الحدثان۔ (۱۱)

وفي المنظومة ”جواب شكوى“ نجد أروع نماذج فى مدحه ﷺ يقول :

قوت عشق سے ہر پست کو بالا کر دے

دہر میں اسم محمد سے اُجالا کر دے (۱۲)

”بقوة العشق سيطر على كل شئ فباسم محمد ﷺ شمس البرايا.“

ويقول في موضع آخر: (۱۳)

عقل ہے تیری سپر، عشق ہے شمشیر تیری
میرے درویش! خلافت ہے جہاں گیر تیری
ما سوی اللہ کے لئے آگ ہے تکبیر تیری
تو مسلمان ہو تو تقدیر ہے تدبیر تیری
کی محمد سے وفا تو نے تو ہم تیرے ہیں
یہ جہاں چیز ہے کیا لوح و قلم تیرے ہیں (۱۴)

”خلافة هذه الأرض استقرت بمحمدك وهو للدينا سماء وفي تكبيرك القدسي بيدو صغيرا كل
ما ضمّ القضاء فيا من هبّ للاسلام يدعو وأيقظ صدق غيرنه الوفاء سترفع قدرك الأقدار حتى
تشاهد أنّ ساعدك القضاء وقيل لك احتكم دنيا وأخرى وشأنك والمخلود كما تشاء.“
زار اقبال قبر حكيم سنائي عند زيارته افغانستان في نوفمبر ۱۹۳۳م وأنشد الغزل الذي في آخره أبيات
عديدة في مدح سيدنا رسول الله ﷺ:

عجب کیا گرمہ د پروین مرے نچیر ہو جائیں
کہ بر فزاک صاحب دو لے ستم سر خود را (۱۵)

”إن أصيد القمر والنجوم فلا عجب فيه لأنني صرت صيد حبيبي وصاحبي.“

وہ دانائے سبل ختم الرسل مولائے کل جس نے
غبارِ راہ کو بجشتا فروغ وادی سینا

”إنه هو علام سبيل الهداية وخاتم النبيين ومولا وامام الكل الذي وطأت قدمه الحصباء
واعطى ذرات رمل المدينة المنورة شرفا يضاهي شرف واد سيناء.“

نگاہ عشق و مستی میں وہی اوّل وہی آخر
وہی قرآن وہی فرقان وہی یسین وہی طہ

”هو الأوّل (فی الخلق) والآخر (فی البعث) عين الحب والغرام، وهو القرآن والفرقان وهو

الذي يسمي يسّ وطفه۔“

ولقد تناول اقبال واقعة المعراج وهذه معجزة مهمة في التاريخ الاسلامي وكتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ مليئة بالأبحاث عنها۔

وقد أدرك اقبال بعد تفكير حقيقي جوهرية في هذا المعراج ربّما قد تكون خفيت على كثير من المسلمين فيقول:

سبق ملا ہے یہ معراج مصطفیٰ سے مجھے

کہ عالم بشریت کی زد میں ہے گردوں (۱۶)

”قد علمت من معراج النبي - ﷺ - أن البشر يستطيع أن يتغلب على السموات العلى۔“

ويقول نجيب الكيلاني: (۱۷)

إن الذرة الضئيلة الهزيلة اذا سرى في كيانها الشوق لاقت الصقر القوى الحسور، ساخرة منه هازئة بقوته، فيقرّ من امامها، ولا عجب في ذلك، فإنّ الحماس قد قلب أنفاسها الوداعة الى شرر متقد، وهكذا المسلم الحق اذا ما اعتصم بالشوق والعشق وكانت له غايات ومقاصد أصبح كالسهم المنطلق الذي تسمو غايته عن التوافه والصغائر، فهي غاية لا شبيه لها غير الكواكب، في علوها، وفي المعراج أسرار هذا العنق، ومغزى قوة الروح العاشقة۔

وذرة طار فيها الشوق صاعسة

تغير في عرصات الشمس والقمر

يا الموج.... تلقى الصقر مقدمة

دراجة تملأ الأنفاس من شرر

المسلم السهم والأفلاك غايتيه

سرائر الروح في المعراج فادكر

ويتبع اقبال نفس الخطوات التي سار عليها سيدنا حسّان بن ثابت وكل لفظ يخرج من قلمه

يحمل رسالة حب الحبيب ﷺ.

يقول:

لوح بھی تو، قلم بھی تو، تیرا وجود کتاب

گنبد آگیند رنگ تیرے محیط میں حباب

”يا رسول الله! إن علم اللوح والقلم من علومك، وإن شخصية قرآن صامت، وإنك محيط

بالآفاق بعلمك وكرمك ورحمتك، والسماء الزرقاء كالحباب بين يدي سعتك۔“

أسلوب اقبال في مدح النبي ﷺ :

يقول الأستاذ شفيع منصور عن شعر اقبال :

” إنه خلال حديثه عن الفلسفة والأدلة الكلامية عندما يصل إلى ذكر رسول الله ﷺ ينسى

نفسه.“ (١٨)

لم يزل حب النبي ﷺ يزيد. ويقوى مع الايام، حتى كان في آخر عمره اذا جرى ذكر النبي ﷺ في مجلسه أو ذكرت المدينة = على منورها الف سلام = فاضت عينه، ولم يملك دمه. وقد ألهمه هذا الحب العميق، معان شعرية عجيبة منها قوله، وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى- ”أنت غنى عن العالمين وأنا عبدك الفقير فاقبل معذراتي يوم الحشر، وان كان لا بد من حسابي، فأرجوك يارب ان تحاسبني بنحوه من المصطفى ﷺ، فاني استحي ان انتسب اليه واكون في أمته، واقترف هذه الذنوب المعافي.“ (١٩)

- يظهر في شعره لوعة حبه للنبي ﷺ وتلور أحوال الأمة الإسلامية ومخاطبته لسيدنا رسول الله ﷺ عن هذه الأحوال.
- ويرى إقبال أن مقصود إيجاد الخلائق هو رسول الله و كل العالم الإنساني يدور حول هذا المحور وهو يوفق بين مدح سيدنا رسول الله ﷺ وأحوال الأمة الإسلامية وهو يعرض عن الأساليب القديمة في مدح النبي ﷺ ويتكرر صوراً جديدة في الثناء على النبي ﷺ والتي يدها أساسا الشاعر الهندي الكبير الطاف حسين الحالي إلا أن إقبال وصل في الحسن والإبداع لهذا الأسلوب مبلغ الذروة - وتوجد نماذج لهذا الأسلوب خاصة في المنظومات ”ذوق شوق“ و ”بلال“، و ”حضور رسالت مآب مين“، و ”صديق“ وغيرها.
- يذكر إقبال أحيانا وقائع من التاريخ الاسلامي وإلى الجانب الآخر يذكر سير أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ خصوصا سيدنا بلال - ويقارن بينه وبين الاسكندر والقيصر ويثبت أن حب الحبيب ﷺ أفضل من السلطة والمناصب ويذكر شهداء طرابلس وعلاقة أصحاب رسول الله ﷺ معه ولا نجد هذه المنظومات الأسلوب الصريح في المدح ولكن يستقى ذلك ذكر مآثر وبطولة سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه - وهذا الأسلوب أبلغ من غيره من الأساليب في التأثير على الناس.
- في بعض الأحيان نجد يمدح سيدنا رسول الله ﷺ بطريقة التي مدحه بها ربه في القرآن :

آنكه مهتاب از سر آشش روئیم
رحمت او عام اخلاش عظیم (٢٠)

وفي هذا البيت يبين اقبال خلق سيدنا رسول الله ومشييرا إلى الآية القرآنية :

”وإنك لعلى خلق عظيم.“(٢١)

يقول السيد يونس شاه : (٢٢)

”وأول هدف من المدح هو اظهار عظمة سيدنا رسول الله وإيضاح أهمية وضرورة بعثه أمام

الناس. ومن هذه الناحية يستحق شعر اقبال كله أن يوصف بمدح سيدنا رسول الله-

وبالأسلوب الذي يجعل مقصد النبوة وعظمة الرسالة - موضوع شعره - نادر في تاريخ الشعر.“

- أعطى اقبال شعر مدح الحبيب المصطفى البصيرة الحكيمة ولا يقص لنا في شعره التدني والعروج للأمة

الإسلامية وجهود الحركات الإسلامية للنهضة. وهذه هي السمات العظيمة التي لا يوجد فيها كقوله ليس

في الشعر الأردوي فحسب بل في الشعر العربي والفارسي أيضاً.

- أخذ اقبال الأسلوب الشعري في مدح رسول الله من النظامي، والرومي والحامي، والسعدي، والأنواري،

والعرفاني، والعطاري، وبيدل وغني كاشميري، ومومن وشهيدى، وسودا، وأمير خسرو، هؤلاء هم الشعراء الذين

قد تلقى العلامة اقبال منهم منهمجهم في التعبير عن الحب النبوي ﷺ.

فكان شعره في النبي الكريم ﷺ من أبلغ اشعاره وأقواها، وكان حشاشة نفسه، وعصارة عمله و تجاربه، وكان

تقريرا عن امته. وتعبيرا عن عواطفه.

وجملة القول ان اقبال كان شاعر النبي في شبه القارة الهندية وشعره ملئ بحب النبي والفكر القرآني-

كما قال استاذنا الفاضل الدكتور ظهور اظهر في مقدمة كتابه اقبال العرب على دراسات اقبال : (٢٣)

”أما شعر اقبال فهو شعر اسلامي خالص بمعنى الكلمة لأنه يقوم على الرسالة الخالدة التي

جاء بها النبي العربي محمد ﷺ وهو يقوم على الفكر القرآني الطاهر فمنه اتخذ أسس الحياة و

القيم الخلقية و المثل العليا ومنه استعار المعاني والأفكار أنك لتقرأ شعره الأردوي والفارسي

فتجده وكأنه ترجمة لآيات القرآنية أو تعبير عن الحكم النبوية.... الخ“

الهوامش

- ١- روائع اقبال، ص: ٣٧-٣٨.
- ٢- ارمغان حجاز، ص ٥٢.
- ٣- إشارة إلى الحديث: "من رأى فقد رأى الحق".
- ٤- ارمغان حجاز، ص ٦٥.
- ٥- پیام مشرق، ص ١٦.
- ٦- نفس المرجع، ص ٩١.
- ٧- اسرار خودی، ص ١٤ ترجمة للدكتور عبدالوهاب العزام.
- ٨- رموز بیخودی، ص ١٢٤.
- ٩- بانك درا، ص ١٧٣.
- ١٠- نفس المرجع، ص ٢١٠.
- ١١- روائع اقبال، ص ٤٢.
- ١٢- نفس المرجع.
- ١٣- نفس المرجع.
- ١٤- نفس المرجع، ص ٢٢٠.
- ١٥- بال جبریل، ص ٩٧.
- ١٦- نفس المرجع، ص ٢٣٤.
- ١٧- اقبال = الشاعر السائر، ص: ٢٣.
- ١٨- ماهنامه ادبیات إبریل ١٩٨٠م، ص ٢٤.
- ١٩- روائع اقبال، ص: ٣٧.
- ٢٠- رموز بیخودی، ص ٢١٢.
- ٢١- سورة القلم: ٤.
- ٢٢- اردو میں نعتیہ شاعری، ص ٤٥٠.
- ٢٣- اقبال العرب علی دراسات اقبال - مقدمة.

